المجلة العربية، جامعة داكا

المجلد السابع عشر، يونيو ٢٠١٥ و يونيو ٢٠١٦ م

# أساليب صفوة التفاسير للصابوني: دراسة وتقييم

الدكتور محمد تاج الإسلام*

**Abstract**

The Qur'anic Commentary (Tafseer of the Holy Qura`n) is very significant for human being – especially for the Muslims because the Qura`n is the origin and complete source of all kinds of knowledge. The Qura`n is the complete code of human life and the science of the cosmopolites. The understanding of the Qur'anic sciences and Qura`nic knowledge depends on its Commentary, Interpretation and Explanation. So, from the very beginning of its revelation, many scholars in the world, especially the Muslim scholars, are contributing to the Qur'anic commentary, interpretation and explanation (Qura`n`s Tafseer). But the Classical Qur'anic Commentaries are so vast or so short. In the present global age, the students and the researchers have no long time to sink in those seas of Qura`nic knowledge. So the author of the book "Safwat at-Tafaseer" Mohammad `Ali As-Sabuny collected the Classical Qur'anic Commentaries and summarized their commentaries in an excellent method. Thus, it has become an eclectic book of Qur'anic Commentaries.In this article, we have studied the methods and styles of the book "Safwat at-Tafaseer" of Mohammad `Ali As-Sabuny (An eclectic book of Qur'anic Commentaries) with its evaluations from various corners.

**Keywords**: Safwatut Tafaseer, Qur'anic Commentary, Qur'anic Sciences, Methods and Styles, Revelation, Interpretation & Explanation.

* أستاذ مساعد، قسم العربية، جامعة داكا

**التقديم**

إن الحمد لله الذي أكرمنا بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس في الدنيا، وجعلنا أمة وسطا لتكون شهداء على الناس في الآخرة، والذي أنزل على نبينا الكريم القرآن الحكيم الذي هو أكمل الكتب السماوية وأبينها، وأظهر به الإسلام على الدين كله، وكفى بالله شهيدا.

أما بعد، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن، وجاء القرآن إلى الناس بواسطة جبرئيل عليه السلام، منزلا على خير الناس وخير الخلق كلهم، باللغة العربية المبينة، هدى ونورا ومبشرا ونذيرا وداعيا الناس إلى صراط مستقيم، ودستورا للحياة البشرية في الدنيا والآخرة، ومنهجا راشدا ومسلكا متوسطا في حياتهم، فيسلكون على مسلكه في حياتهم الدنيا كلها، ويستضئون بضيائه، ويتنورون بنوره، ويهتدون بهديه، ويقتبسون من تعاليمه الرشيدة ومعلوماته السديدة وعلومه الغريزة وفنونه الرائعة ونظمه الحكيمة، فيجعلهم الله باتباع أحكام هذا القرآن اتباعا كاملا في ذروة المجد والسعادة والعزة والقيادة والسيادة، فيصبحون سادة الناس وقادتهم في الدنيا، ويكونون أمة وسطا وشهداء على الناس في الآخرة. فمتبعو القرآن هم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ومن المعلوم أن هذه العزة وتلك السيادة والقيادة – في الدنيا وفي الآخرة – كلها تعتمد على اتباع القرآن وأحكامه، ويعتمد اتباع القرآن على فهمه فهما سديدا، ويعتمد فهم القرآن على تشريحه وتفسيره صحيحا على أساليب ومناهج رائعة.

قال الله تعالى:قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا[١]. فأشار الله بهذه الآية إلى اللانهاية لتفسير القرآن الكريم، ولذا بذل علماء القرآن ومفسروه من بداية نزوله حتى الآن سعيهم وطاقتهم كلها لإفهام القرآن الناسَ، فصنفوا في هذا المجال كتبا لاتحصى، ويستمر هذا السعي إلى يوم القيامة إن شاء الله سبحانه وتعالى.

ففي هذه الرسالة المؤجزة اتخذنا كتابا من تلك الكتب للتفسير كلها للبحث والدراسة فيه، اسمه صفوة التفاسير، مصنفه الشيخ محمد علي الصابوني،

لندرس أساليب هذا الكتاب ومناهجه دراسة بحثية، ولنقيم عليها تقييما منصفا، فيستفيد القراء والباحثون منها بفوائدا كثيرة في دراساتهم وبحوثهم في القرآن الحكيم، والله هو الموفق والمعين، وإليه نستغيث، وإليه المصير. فجدير بالذكر، أننا قد قسمنا هذه المقالة إلى قسمين:

**أولهما: الدراسة لأساليب الصابوني في تفسيره؛**
**والآخر: التقييم لأعماله في صفوة التفاسير.**

**أولا، الدراسة لأساليب الصابوني في تفسيره**

جدير بالذكر أن الأساليب جمع الأسلوب،قد يرادف له المنهجُ، وللأسلوب مرادفات أخرى، منها:الطريقة، والمسلك والمدرسة والمذهب والمدخل والوسيلة وغيرها، وفي اللغة الإنجلزية تُعنى بالأسلوب:

Method, Approach, Style, Policy, Doctrine, School etc.

يقول الدكتور نصرالدين إدريس جوهر في تعريف الطريقة: هي الخطة العامة لعرض المادة اللغوية بصورة منتظمة، لا تتناقض أجزائها، وتنبنى على مدخل معين[٢]. وذُكر في المعجم الإنجليزي:

Cambridge International Dictionary of English: Method is particular way of doing something. Method is also an ordered way of doing something.[3]

أيا كان، فنحن عنينا بأساليب الصابوني في تفسيره: المناهج والمدارس والأصول والنظريات والإفتراضات والطرق الخاصة والخطة العامة التي اتبعها المصنف واستخدمها في تصنيف كتابه صفوة التفاسير، قال الله تبارك وتعالى: **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا-** الآية[٤].

الآن لقد حان الوقت لأن ندخل في أساليب الصابوني في كتابه، فمن يرغب في أساليب هذا الكتاب صفوة التفاسير للصابوني ويمعن النظر فيه ويدرس، يجد ويرى أن المصنف قد نظم كتابه على أساليب وقوالب معينة، بأنه أتى في تفسير الآيات القرآنية وتفصيلها وتشريحها من البداية إلى النهاية بأمور آتية: **بين يدي السورة، اللغة، التفسير، المناسبة، سبب النزول، تفسير الآيات الحكيمة، بلاغة الآية، الفوائد، اللطائف، التنبيه.**

وإليكم الآن البيان المؤجز على هذه الأمور من السطور الآتية.

**١. بين يدي السورة**

إذا أمعننا النظر في صفوة التفاسير للصابوني رأينا، أن المصنف أتى بهذه النقطة (بين يدي السورة) في ابتداء كل سورة من سور القرآن الكريم، بين يدي السورة معناه موضوع السورة ومضمونها، ذكر المصنف في هذا المجال بأن السورة إما مكية أو مدنية، ثم أتى بمواضيع السورة والأمور التي أحاطت بها، ومحاويرها، وذلك على وجه الإيجاز والاختصار. كما أنه أورد فيما بين يدي سورة الطارق بقوله:"هذه السورة الكريمة من السور المكية، وهي تعالج بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، ومحور السورة يدور حول الإيمان بالبعث والنشور، وقد أقامت البرهان الساطع والدليل القاطع على قدرة الله جل وعلا على إمكان البعث، فإن الذي خلق الإنسان من العدم قادر على إعادته بعد موته"[٥]. ثم فصل المصنف السورة من حيث الألفاظ الموضوعية المهمة التي ذُكرت فيها، مثلا ذكر في سورة الطارق:"ابتدأت السورة الكريمة بالقَسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة، التي تطلع ليلا لتضيء للناس سبلهم، ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، على أن كل إنسان قد وُكل به من يحرسه، ويتعهد أمره من الملائكة الأبرار"[٦]. ثم استدل المصنف – بعد ذلك – بالأدلة والبراهين التي ذكرت في السورة.

كما ذكر، ثم ساقت الأدلة والبراهين على قدرة رب العالمين على إعادة الإنسان بعد فنائه. وذكر مع هذا، الآية الاستشهادية (فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، إنه على رجعه لقادر.)، وذكر في هذا الصدد:ثم أخبرت عن كشف الأسرار، وهتك الأستار في الآخرة، حيث لا معين للإنسان ولا نصير، واستدل على هذا بذكر الآية: (يوم تُبلى السرائر، فما له من قوة ولا ناصر). وفي ختام بين يدي السورة ذكر المصنف بقوله: وختمت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم، معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة، وحجته البالغة إلى الناس أجمعين، وبينت صدق هذا القرآن، وأوعدت الكفرة المجرمين بالعذاب الأليم[٧]. واستدل عليها بذكر الآيات الأخيرة من السورة (سورة الطارق).

هكذا أتم المصنف الصابوني بيانه في "بين يدي سورة الطارق"، وهكذا فعل المصنف بين يدي كل سورة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وهذا الأسلوب الذي استخدمه الصابوني أسلوب رائع، فيستطيع القراء والباحثون من هذا البيان حول كل سورة سهل الدخول فيها في أول الوهلة، فيعلمون موضوع كل سورة من سور القرآن الكريم ومضمونها بإلقاء نظرة دقيقة. فيسهل لهم الفهم لتفسير السورة.

**٢. اللغة**

أتى المصنف بعد ذكر ما بين يدي كل السورة، بتحقيق عدة ألفاظ قرآنية مهمة دالة على معنى هام من تلك السورة أو الآيات المذكورة، كما أنه ذكر في بيان اللغة في سورة الطارق:"**(الطارق)** مأخوذ من الطرق بمعنى الضرب بشدة، ومنه المطرقة، وكل ما جاء بليل يسمى طارقا، **(دافق)** مصبوب بقوة وشدة، يقال: دفق الماء دفقا، إذا انصب بدفع وشدة، **(والترائب)** عظام الصدر، جمع تريبة مثل فصيلة وفصائل ... ، **(الرجع)** المطر سمي به لرجوعه إلى الأرض مرارا، **(الصدع)** النبات الذي تنشق عنه الأرض، **(رُويدا)** قليلا أو قريبا"[٨]. فهذا القسم من البيان على المعاني اللغوية لألفاظ القرآن المهمة يفيد القراء وباحثي القرآن في إفهامه سهلا وجيدا، وهذا الأسلوب في التفسير أسلوب محمود بأن يشرح المفسر العلام معاني ألفاظ القرآن المهمة أولا، ثم يفسر معاني الآيات تفصيلا وتبيانا. وهذا الأسلوب يفيد القراء وباحثي القرآن في إفهامه سهلا وجيدا.

**٣. التفسير**

بعد ذكر معاني الألفاظ القرآنية المهمة أتى صاحب صفوة التفاسير بعدد من الآيات لتلك السورة، وذكر فيها: تفسير الآيات القرآنية المذكورة، وفسرها مع معاني الألفاظ وتأويلها وتفصيلها من وجوه شتى، متخذا من أراء المفسرين المنثورة والمعقولة. وذكر فيها:

**أ) مناسبة النصوص المذكورة مع السياق والسباق**

بين المصنف في هذا الصدد العلاقة والمناسبة بين هذه الآيات المذكورة للتفسير، وبين الآيات المفسرة فيما قبل، استخدم المصنف هذا الأسلوب

لإثبات التسلسل والتواتر فيما بين الآيات القرآنية، بأن القرآن قد نزل ورتبت آياته مسلسلة ومناسبة بين السياق والسباق.

**ب) سبب النزول إن كان في خلفية الآيات المقتبسة**

ثم بين المصنف سبب النزول للآيات المذكورة إن كان في خلفية نزولها من سبب موضوعي أو تاريخي. ففي الأكثر والأغلب أخذ المصنف هذه الأسباب للنزول من تفاسير السلف والخلف، مثلا، من التفسير لإبن كثير وتفسير القرطبي وغير ذلك. وأكثرها معتبرة من الأحاديث النبوية الشريفة.

**ت) تفسير الآيات الحكيمة**

هذا هو العمل الأكبر والأهم الذي فعله المصنف الصابوني في تفسيره، والأسلوب الذي استخدمه المصنف في هذا المجال جعله مميزا ومتخصصا ومحمودا ومقبولا لدى أكثر أئمة العلماء المفسرين؛ وهذا الموضع الذي جعله موضوع الرد والنقد العنيف لدى بعض علماء السلف. فلذا مستنا حاجة عنيفة إلى دراسة هذا المكان.

**الدراسة في تفسير الآيات الحكيمة للصابوني**

ففي هذا المجال، يمكن لنا أن ندور حول مثال في الأسلوب لتفسير الآيات الحكيمة للصابوني، فلندخل – مثلا – في تفسير الصابوني لسورة الطارق من جزء عم، رأينا في هذا، بأن المفسر أخذ الآيات كلها لسورة الطارق ليفسرها تفسيرا بما وفقه الله تعالى.

فقال: والسماء والطارق أي أقسم بالسماء وبالكواكب النيرة، التي تظهر ليلا وتخفي نهارا. وبعد ذكر هذا التفسير والتأويل للفظ الطارق المذكور في أول السورة أتى بتشريح الطارق من أقوال المفسرين، كما أنه ذكر: قال المفسرون: سمي النجم طارقا لأنه إنما يظهر بالليل ويخفي بالنهار، وكل ما يجيء ليلا فهو طارق. ثم فسر الآية: **وما أدراك ما الطارق** بقوله: استفهام للتفخيم والتعظيم أي وما الذي أعلمك يا محمد ما حقيقة هذا النجم؟ فقال المفسر: ثم فسره بقوله: **النجم الثاقب** أي النجم المضيء الذي يثقب الظلام بضيائه. ثم أتى المصنف بقول من أقوال المفسرين، فيقول: قال الصابي: قد كثُر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر الشمس والقمر والنجوم، لأن

أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها – عجيبة دالة على انفراد خالقها بالكمالات، لأن الصنعة تدل على الصانع. وقال الصابوني في الآية: **إن كل نفس لما عليها حافظ**، هذا جواب القسم أي ما كل نفس إلا عليها حافظ من الملائكة، يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر"، ثم ذكر بآية قرآنية دالة على تفسيره **وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين**[٩]. وبعد ذلك ذكر المفسر العلام قول ابن كثير في هذا الصدد: قال ابن كثير: أي كل نفس عليها من الله حافظ يحسرها من الآفات. وبعد ذلك، ذكر المصنف كلمة مناسبة بين الآية السابقة والآية القادمة، فقال: ثم أمر تعالى بالنظر والتفكر في خلق الإنسان، تنبيها على إمكان البعث والحشر فقال: **فلينظر الإنسان مم خُلق**، أي فلينظر الإنسان في أول نشأته نظرة تفكر واعتبار، من أي شيئ خلقه الله؟[١٠]. هكذا جرى الصابوني مجرى تفسيره من البداية إلى آخر السورة، وهكذا جرى الصابوني في تفسيره من أول الآيات القرآنية إلى آخرها، وهذا هو الأسلوب المتواتر للصابوني في كتابه **صفوة التفاسير**.

**ث) بلاغة الآية**

يعلم كل عارف بأن البلاغة – في كل لغة – حلوها وزينتها المعانية والبيانية والبديعية، أما اللغة العربية اختارها الله تعالى أن تكون هي لغة القرآن العظيم، وهي مملوءة بالبلاغة الفاخرة والفصاحة الرافعة. أما القرآن الكريم! فأين مكانه في اللغة والبلاغة والفصاحة؟ بجملة، هو كنز البلاغة وخزينتها، لا يمكن لأحد أن يحدد بلاغة القرآن وأن يعددها، ولا يمكن لأحد أن يظهر ما في القرآن من البلاغة والفصاحة. فالقرآن تنبت البلاغة جديدة، وتنشئ اللغة متجددة، وتحيي العلوم متحدثة كل يوم. فإن القرآن الكريم يعلن مرارا بأنه بلاغ مبين، وبيان للناس، وتبيان لكل شيئ. ودعى الله سبحانه وتعالى أولي الألباب وأولي الأبصار – مرارا لا تحصى – ليعتبروا في بلاغة القرآن وعجائبه ولطائفه ودقائقه. وكل هذا يدل على بلاغة القرآن المنفردة. وحين درسنا صفوة التفاسير للصابوني رأينا، بأنه أتى بعدد من المصطلحات البلاغية بعد كل جولة لآيات مقتبسة للتفسير. فذكر – مثلا – **الطباق والجناس والإطناب والكناية والسجع والبديع من المحسنات اللفظية**

**والمعنوية** وغيرها من الأمور البلاغية الموجودة في تلك الآيات القرآنية المقتبسة. ورأيناه أيضا، بأنه فسر هذه المصطلحات البلاغية في أول الأمر واستشهد بها على الآية المتعلقة، لكنه في آخر الأمر لم يفسرها ولم يستشهد بها، فإن الأمور البلاغية أغلبها قد مضت وأكثرها قد فصلت في أماكن مختلفة. فهذا الأسلوب للصابوني جعل تفسيره منفردا ومتميزا عن كثير من كتب التفسير.

**ج) الفوائد المحصولة من الآيات المتعلقة**

ثم ذكر المفسر الصابوني في سلسلة تفسيره الفوائد المحصولة من الآيات المتعلقة، والفوائد جمع الفائدة، وهي الإفادة الزائدة التي حَصُلَتْ من الآيات القرآنية المتعلقة، لم يأت الصابوني ردف كل آية بمثل هذه الفائدة، لكنه في حين من حين أتى بها. مثلا، ذكر الصابوني عدة فوائد متنثرة بعد قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كالذي ينفق ماله رِئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا، لا يقدرون على شيئ مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين"[١١]. هذه الآية من سورة البقرة، آية مهمة، فيها تشبيه قوي وتمثيل بليغ – على وجه الاختصار – على بطلان الصدقة بالمن والأذى، فلذا أتى الصابوني بعدة فوائد على هذه الآية. فمن تلك الفوائد، قال الزمخشري: المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه، وفي نوابغ الكلم صنوان: من منح سائله ومن، ومن منع نائله وضن وطعم الآلاء أحلى من المن، وهي أمر من الآلاء مع المن. الثانية، المطر أوله رش ثم طش ثم طل ثم نضح ثم هطل ثم وبل. والمطر الوابل الشديد الغزير. الثالثة، وذكر فيها من أقوال الخليفة الثانية عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال عمر يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فيمن ترون هذه الآية:(أيود أحدكم أن تكون له جنة)؟ قالوا: ألله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيئ يا أمير المؤمنين، فقال عمر يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، فقال ابن عباس: ضُربت مثلا بعمل لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله. أخرجه البخاري. الرابعة، قال الحسن البصري: هذا مثل قل والله من يعقله:

شيخ كبير، ضعف جسمه، وكثُر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته، فجاءها الإعصار فأحرقها، وإن أحدكم – والله – أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا[١٢]. هكذا أخرج المفسر العلام عدة فوائد ردف بعض آية قرآنية – تحتاج إلى تشريح مزيد وتلزم إلى إخراج فوائدها اللازمة، ففعلها المصنف لإكمال عطشان القراء والباحثين، فهذا الأسلوب يكفي لسد حاجة القراء المقدرة.

**ح) اللطائف**

ذكر الصابوني ردف بعض الآيات مثل هذه اللطائف، فاللطائف جمع اللطيفة، وهي النقط الدقيقة والمعاني الرقيقة والتأويلات اللطيفة في الآية المفسرة، كما ذكر ردف سورة التين: "لطيفة: ذكر الإمام القرطبي، أن عيسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا، فقال لها يوما: أنت طالق ثلاثا إن لم تكوني أحسن من القمر!! فاحتجبت عنه وقالت: طلقتني، فحزن حزنا شديدا وذهب إلى الخليفة المنصور وأخبره الخبر، فاستحضر الفقهاء واستفتاهم، فقال جميع من حضر: قد طُلقت، إلا رجلا واحدا من أصحاب أبي حنيفة، فقد بقي ساكتا، فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟ فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين يقول الله تعالى: **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم،** فليس شيئ أحسن من الإنسان، فقال صدقت!! وردها إلى زوجها[١٣].

فهذه هي لطيفة أُخرجت من الآية القرآنية المذكورة. هكذا رأينا الصابوني قد أخرج معاني لطيفة وتأويلات دقيقة من الآيات القرآنية حينا بعد حين، لكنه لا من كل آية وسورة، وهذا الأسلوب في التفسير يفيد القراء والباحثين بلطائف القرآن ومعانيه الدقائق.

**خ) التنبيه**

أتى الصابوني بعد بعض الآياة القرآنية بتنبيه أو أكثر، والتنبيه الإنذار والتوبيخ، كما ذكر في آخر سورة البينة: "الإخلاص هو لب العبادة، وقد جاء في الحديث القدسي: "أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركَه". ثم ذكر بقوله: "وقد قسم العلماء الأعمال إلى ثلاثة أقسام: مأمورات، ومنهيات، ومباحات. فأما المأمورات فالإخلاص فيها بأن يقصد بعمله وجه الله، وإن كانت النية لغير وجه الله، فالعمل رِياء محض

مردود. وأما المنهيات فإن تركها بدون نية خرج عن عهدتها، ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها ابتغاء وجه الله كان مأجورا على تركها. وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك، فإن فعلها بغير نية لم يكن له بها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر، فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله، مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام"[١٤]. هكذا استخدم المفسر العلام هذا الأسلوب حينا من حين من البداية إلى النهاية في كتابه صفوة التفاسير، فذكرنا مثلا طويلا من تلك التنبيهات التي أتى بها الصابوني ردف عدة آيات قرآنية.

## ثانيا: التقييم

هذا هو القسم الثاني لهذه المقالة، بأننا – بعد ما فصلنا أساليب تفسير الصابوني وقوالبها على وجه الاختصار – سنسعى إن شاء الله أن نقيم أعماله في كتابه صفوة التفاسير، ففي تقديم هذا نحن نقول بإن الله فعال لما يريد، وهو خالق كل شيئ، وخالق أعمال الناس كلها من خيرها وشرها، لكن الناس هم منفذو هذه الأعمال، فيُثابون لها ويُعاقبون عليها. وأن الله مقلب القلوب يقلب القلوب إلى ما يريد، فيشير في حين من حين إلى بعض الناس المختارة أن يفعلوا أفعالا تجديدية – يفيد بها الناس فوائد جما، ويكملون بها حاجات عصرهم وزمانهم. فيأتي في الزمان مخترع فاخر وعالم منفرد، ويقدم في العالم مجدد لإصلاح الاجتماع والاقتصاد والسياسة والشئون الدينية والشئون العلمية.

فإذا مست الدنيا إلى باحث مجدد ومفسر على أسلوب جديد في فن التفسير وإلى ملخص موفق يلخص ويختصر أراء المفسرين السابقين من السلف والخلف، ويجمع بين المنقول والمعقول في كتاب واحد ذات ثلاثة أجزاء، فيستطيع القراء أن يروا أمامهم اللونين (المنقول والمعقول) من التفسير معا، وينتفعوا بخير ما في الأسلوبين المتضادين في علم التفسير وفنه– فحينئذ يرسل الله مفسرا محققا وباحثا مجددا مثل محمد علي الصابوني.

**التقييم لأساليب الصابوني في تصنيفه صفوة التفاسير**

يمكن لنا أن نبين أساليب ما استخدمها الصابوني في كتابه صفوة التفاسير في عدة مراتب آتية.

**١. إنه جمع بين المأثور والمنقول (أسلوب الجمع)**

لقد جمع المصنف للكتاب صفوة التفاسير محمد علي الصابوني في تصنيفه أصح الأراء وأرجحها من أمهات كتب التفسير للقرآن الكريم، وجمع بين المأثور والمنقول بأسلوب واضح وطريقة حديثة سهلة، فالأسلوب الذي استخدمه الصابوني هو أسلوب الجمع بين المتضادين، والاستخلاص والاختصار لمجموعة من تفاسير القرآن الكريم، لعدد كبير من الأئمة المفسرين. فمن واسطة هذا العمل لقد وفقه الله عز وجل ومكنه أن يقدم كنوز العلوم القرآنية وخزائنها الغريزة في سِفْر واحد، ليسهل الله فهم القرآن واطلاعه بيده سهلا ومختصرا على الطلاب والباحثين. أما الأسلوب الذي اتخذه الصابوني في تصنيفه، هو أسلوب بسيط وسديد، وعبارات ميسرة وإيضاحات جيدة حديثة مع العناية بالجوانب اللغوية والبلاغية.

رأينا أن الصابوني قد جمع بين المأثور والمنقول في تفسيره، ففي هذا المكان يمكن لنا أن نعرف التفسير، ثم أن نبين أقسامه، والمعلوم أن التفسير معناه الإيضاح والتبيين، "وهو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلعم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[١٥]. للتفسير التأويل عند العلماء المتقدمين، فتفسير القرآن وتأويله بمعنى واحد عندهم. لكن العلماء المتأخرين يفرقون بين التفسير والتأويل، فالتفسير هو المعاني الظاهرة من القرآن الكريم التي هي واضحة الدلالة على المعنى المراد لله عز وجل، والتأويل هو المعاني الخفية المستنبطة من الآيات الكريمة.

**٢. إنه جمع بين أقسام التفسير الثلاثة**

الآن يجدر لنا بالذكر بأن التفسير ينقسم على ثلاثة أقسام في علوم القرآن وفنون التفسير:

أ. التفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالنقل أو التفسير بالمأثور،
ب. التفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي،

ت. التفسير بالإشارة، ويسمى التفسير الإشاري[١٦].

وهذا معلوم عند كل عالم في علم التفسير بأن لكل قسم من أقسام التفسير الثلاثة المذكورة عدد كبير من كتب التفاسير، فلا يقال بجملة واحدة بأن القسم الأول أو الثاني أو الثالث هو المقبول فقط والبواقي متروكة ومهجورة، بل الأمر يرجع إلى صاحب التفسير، فإن كان مخلصا ربانيا محققا فيُقبل وإلا فيُرفض. أما مصنفنا الصابوني لقد مزج بين كتب التفسير العديدة من هذه الأقسام الثلاثة. فالكتاب صفوة التفاسير جامع بين المأثور والمنقول، استمد مصنفه من أوثق الكتب التفسيرية من الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط وغيرها. فجاء الكتاب بأسلوب حكيم ومنهج رائع متلونا بألوان متنوعة من أقسام التفسير الثلاثة، حتى أصبح تفسيرا متكاملا وانتقائيا (Complimentary & Eclectic Tafseer) .

## ما أفاده الصابوني بتصنيفه صفوة التفاسير

لقد أفاد التفسير للصابوني القراء والباحثين للقرآن الكريم بفوائد كثيرة، من أهمها،

أ. **تلبية نداء العصر الراهن**

جدير بالذكر، بأن العصر متغير مع تغير أحوال سكانه، وأحوال السكان متغيرة بتغير جوانبهم، وجوانبهم متغيرة بتغير اتصالاتهم العالمية التكنولوجية والإلكترونية والجغرافية. هكذا انعقدت العولمة وأصبح العَالم الآن قرية صغيرة، وأتى العَالم في أصابيع الناس. فيستطيع الناس أن ينفذوا أعمالا كثيرة ومتنوعة وأفعالا متغائرة مع بعد وقوفهم في دقيقة أو أقل منها. فالعصر الراهن عصر الشغل والسرعة، الوقت في هذا الزمان أثمن من الذهب. فإن تستخدم أوقاتك بأكمل الوسائل في أحسن الأعمال تستطيع أن تنفذ الأعمال أضعافا مضاعفة بعشرة أضعاف، وتستطيع أن تعمل في حياتك الطيبة الواحدة التي منحها الله إليك أعمال عشر معايش أو أكثر منها. وهذه وتلك كلها باستخدام فضائل العولمة وفوائدها.

ومعلوم لدى الأذهان وأولي الألباب، أن العلم الحديث وكل الاختراع الجديد في عصر العولمة هذا أثبت واقعيا بأن القرآن خزائن العلوم والفنون كلها، قال الله تعالى: مّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ[١٧]. لكن عامة الناس لا

يستطيعون أن يغرقوا في عمق هذه الخزائن والكنوز، ولا يجدون وقتا طويلا لدراسة تفسير القرآن الواسع في هذا العصر السريع، فمست الحاجة العنيفة لفهم القرآن في وقت قليل، ويمكن ذلك بدراسة تفسير مختصر فيه أسلوب الاستخلاص والاختصار لمجموعة من تفاسير القرآن الكريم لعدد كبير من الأئمة المفسرين. فذلك العمل الجليل فعله الصابوني في تصنيفه. يقول أبو الحسن علي الحسني الندوي في كلمته في إصدار هذا الكتاب:"فقد كان الاتجاه العلمي السائد في عصور التأليف الإسلامي الأولى هو الاستيعاب الشامل لكل ما قيل ورُوِي في الموضوع، فكانت كتب المؤلفين في التفسير والحديث والسيرة والتاريخ – أشبه بموسوعات علمية ... فقد أحدث مشكلة – خصوصا في هذا العصر – وهي أن الطالب المبتدئ والمتوسط يُحار في اختيار أقرب الأقوال إلى الصواب، ويشتت ذهنه فلا يرسخ فيه قول واحد ... ولذلك مال كثير من المؤلفين في كل عصر إلى الانتقاء من هذه الكتب الموسوعية، واختيار أقرب الأقوال وأقواها، فكانت لهذه الكتب فائدة عظيمة وفضل كبير على طلبة العلم"[١٨]. فرأينا أن العلوم القرآنية والفنون الشريعية كيف كانت في العصور الماضية، كانت أشبه بموسوعات علمية، على أسلوب الإطناب والإطالة، ففعل الصابوني عملية الانتقاء والاستقراء والاستخلاص، فصار تفسيره إجابة لحوائج العصر الحديث.

وبعد التقييم المذكور العام والتفريق الهام بين خصائص العلوم الماضية والعلوم الحالية قال الندوي: "وكان هذا العصر من أحوج العصور إلى هذا الأسلوب من التأليف لقصر الوقت وضعف الهمم وتشتت الأذهان، لذلك كان صديقنا الفاضل فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني موفقا كل التوفيق في وضع كتابه صفوة التفاسير، فقد وفر على طلبة علم التفسير وقتا طويلا، وأخذ بيدهم إلى ما هو عصارة دراسته وخلاصة التفاسير"[١٩]. فثبت أن الأسلوب الذي استخدمه الصابوني في تصنيفه، هو أسلوب تلبية نداء العصر الراهن، فسدّ به حاجات العصر في هذا المجال ... .

ثم يقول الشيخ الندوي في تقييم المصنف الصابوني شخصيته:"لا يقدر على ذلك إلا من توسعت دراسته، وسلم ذوقه، وحسنت ممارسته لفن

التدريس، ... "[٢٠]. فوفقه الله تعالى تنفيذ ذلك العمل الكبير، لدراساته الواسعة في كتب التفسير المهمة، ولسليم ذوقه وشوقه ولذكاء عقله وفهمه.
ففي هذا الصدد، إني لا أستطيع أن أضغط حرصي إلا أن أذكر، بأن رجلا عالما مثقفا ومفسرا مجددا وعالما لغويا بليغا وفنانا فاخرا مثاليا - مثل الصابوني – الذي اعتكف على فن التفسير أعواما خالية - طالع فيها على معظم كتب التفسير، وقارن بين أراء المفسرين المأثورة والمعقولة، ورجح الأراء الأفاضل على الرَذالة، ثم شعر شعورا عميقا بأن العصر الراهن محتاج إلى تصنيف المختصر والملخص لطوال دراسته الابتكارية وبحوثه التجديدة – فماذا يفعل؟ يفعل ما فعله الصابوني في تصنيفه الذي نحن في صدده.
كما يقول الصابوني نفسه في مقدمة تصنيفه:"وقد مكثتُ في تأليف هذا التفسير خمس سنوات، أواصل فيه الليل بالنهار، وما كنت أكتب شيئا حتى أقرأ ما كتبه المفسرون في أمهات كتب التفسير الموثوقة، مع التحري الدقيق لأصح الأقوال وأرجحها ... . وقال أيصا: وقد أسميت كتابي "صفوة التفاسير" وذلك، لأنه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان ..."[٢١]. فلا شك أن الكتاب صفوة التفاسير هو نتيجة فاخرة لدراسات الصابوني الطويلة، وهو مرْآة ومنظر وصورة مختصرة لمعظم كتب التفسير وأراء المفسرين المختارة، وبالجملة أن الكتاب تلبية نداء العصر الراهن.

**ب. أصبح الكتاب الضالة المنشودة للقراء والباحثين في فن التفسير**

لقد ذكرنا بأنه جاء التصنيف للصابوني صفوة التفاسير مجيبا للدعوة إلى حاجات الشباب في عصر العولمة الراهنة، وملائما وروحَ العصر الجديد، فهو انتقائية التفاسير الكبيرة، وانتقائية أراء المفسرين الكبار، وانتقائية التفاسير المأثورة والمعقولة. يقول عبد الله خياط خطيب المسجد الحرام: "كنت أجد في نفسي رغبة ملحة لتفسير للقرآن العظيم في متناول طالب العلم، يجمل ما تفرق في كتب التفسير المعتبرة، ويغنيه عن المراجع المطولة، ويعطيه فكرة واضحة عن لغة القرآن وسبب النزول ...، فكان كتاب صفوة التفاسير هو الضالة المنشودة والحلقة المفقودة؛ ... ولبى الحاجة"[٢٢].

وفي هذا المجال نقول، أن القرآن الكريم لقد جاء إلى جماهير الناس، ليهتدوا بهديه، وليتنوروا بنوره، وليتزودوا بزاده. فجاء بأبين اللغات وأبلغها وأفصحها وأسهلها وأبرزها – بعيدا عن التعقيد، وقريبا إلى فهم الناس البسيط والسديد. ففي أول الأمر كان المفسرون الكرام يتبعون في تفسير القرآن أسلوب التطول والإطناب، فكان أكثرهم من المتطولين والمطنبين. وذلك لإيضاح ما في بطن القرآن ولإظهار ما فيه من الجوانب الممكنة. ثم حان الوقت لتلخيصها وتخليصها وتمييزها بقلم سهل العبارة. فجاء الصابوني بكتاب صفوة التفاسير، وسد المسد، ووفر الحاجة وحقق الغاية المنشودة للعطشان والجوعان. يقول محمد الغزالي: "وقد نجح فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني في تحقيق هذه الغاية؛ إذ يسر تفسير الكتاب العزيز، وجمع في تفسيره جملا من أقوال الأئمة تتضمن خلاصات علمية وأدبية جعلته غنيا بالحقائق، والحكم النافعة"[٢٣]. وقد لاحظنا أن الشيخ محمد علي الصابوني قد قارن في تفسيره بين كثير من مأثورات السلف واجتهادات الخلف، وذلك بأسلوب حكيم، فأصبح الكتاب الضالة المنشودة للقراء والباحثين في فن التفسير .

**ت. أسلوب التوسط بين الإطناب والإيجاز:**

لقد لاحظنا، كم من كتب التفسير تجد فيها تطويلا ملحا وإطنابا شديدا. وبيد أخرى، تجد كتبا فيها إيجاز شديد. فلاحظنا في صفوة التفاسير للصابوني، أنه توسط بين الإطناب والإيجاز، فأنفع قراء القرآن وطلابه بخير ما في وسط المنهجين السابقين المذكورين. يقول الصابوني: "وإذا كان المسلم قد اضطرته الدنيا ليشغل وقته في تحصيل معاشه، وضاقت أيامه عن الرجوع إلى التفاسير الكبيرة، التي خدم بها أسلافنا ... فإن من واجب العلماء اليوم أن يبذلوا جهدهم لتيسير فهمه على الناس، بأسلوب واضح، وبيان ناصع، لا حشو فيه ولا تطويل، ولا تعقيد ولا تكلف، وأن يُبرزوا ما في القرآن من روعة الإعجاز والبيان، بما يتفق وروحَ العصر الحديث، ويُلبي حاجة الشباب المثقف، المتعطش إلى التزود من علوم ومعارف القرآن الكريم"[٢٤]. فأصبح الكتاب صفوة التفاسير متوسطا بين الإطناب والإيجاز ومقتصدا بين التكثير

والتقليل، فأفاد به الطلاب والباحثين والقراء بأسلوب خير في وسط الأسلوبين السابقين المذكورين وبمنافع تفسير متوسط ومقتصد.

**النقد ضد أسلوب الصابوني في كتابه صفوة التفاسير**

هذا من أمور عامة بأن لكل عمل نقد وتقييم، فرأينا بعض العلماء قد تطاولوا بانتقاد عنيف ضد أسلوب الصابوني في كتابه صفوة التفاسير، منهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، والشيخ الألباني رحمه الله، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ بكر أبو زيد، والشيخ محمد جميل زينو وغيرهم. لكن شيخنا الصابوني رد تلك الأقوال بالقوة والطاقة والحجج القاطعة، فالآن مستنا حاجة إلى ذكر بعض الكتب الرادة على الكتاب صفوة التفاسير للصابوني، منها الرد على أخطاء محمد علي الصابوني في كتابه صفوة التفاسير ومختصر تفسير ابن جرير، للشيخ محمد جميل زينو؛ و تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير، للشيخ محمد جميل زينو؛ وملاحظات على كتاب صفوة التفاسير، للشيخ سعد ظلاَّم؛ وملاحظات على صفوة التفاسير، للشيخ عبد الله بن جبرين؛ وملاحظات عامة على كتاب صفوة التفاسير، للشيخ صالح الفوزان؛ والتحذير من مختصرات الصابوني في التفسير، للشيخ بكر أبو زيد، وهو ضمن كتابه الكبير "الردود" [٢٥]. فهذه الكتب الرادة من المخالفين والمعاندين ضد الصابوني وكتابه صفوة التفاسير، أورد فيها المخالفون انتقادات عنيفة وتطاولوا فيها.

فمنها، قال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير:"صفوة التفاسير اسم فيه تغرير وتلبيس، فأنَّى له الصفاء وهو مبني على الخلط بين التبر والتبن، إذ مزج بين تفسيري ابن جرير وابن كثير السلفييْن، وتفسير الزمخشري المعتزلي، والرضي الرافضي، والطبرسي الرافضي، والرازي الأشعري، والصاوي الأشعري القبوري المتعصب، وغيرهم، ولا سيما وهذا المزج على يد من لا يعرف الصنعة ولا يتقنها كهذا الذي تسوَّر هذا الصرح بلا سلَّم ... "[٢٦]. رأينا هذا الناقد لقد اتهم على الصابوني بأنه اختار من أراء المفسرين المذكورين. فعيبهم بعيوب فرقهم ومللهم، لأنهم كانوا من فرق وملل مختلفة التي ذكرها الناقد بجانب

أسمائهم. كأنه لا يكاد يطمئن على أي كتاب للتفسير من تلك الكتب، أو أنه يرغب ويتمنى أن يجرد القرآن الكريم من أي لون من ألوان التفاسير الماضية، ثم يأتي بتفسير ملون بنفسه. فلا تمس الناسَ بعد ذلك أي حاجة إلى كتابة كتاب ما في مجال التفسير.

ولم ينته هذا الرجل إلى نقد ذاك، بل اتصف الصابوني بأوصاف شنيعة آتية، مثلا: اتصفه بالجهل، وقال: "أنه يصحح الضعاف، ويضعِّف الصحاح، ويعزو أحاديث كثيرة إلى الصحيحين، أو السنن الأربعة أو غيرها وليس في الصحيحين ... ويحتج بالإسرائيليات ، ويتناقض في الأحكام ..."[٢٧]. لقد اتهم هذا الرجل على رجل بتهمات عنيفة، فلا شك ولا ريب بأنه أثبت بأقاويله وتطاوله على الصابوني بأنه ليس في منصبه ومرتبته. فإنه وزملائه المعاندين اتصفوه بتلك الأوصاف، وتسودوا بها صفحات عديدة. إنا فحصنا تلك الصفحات، فما وجدنا إصالتها وحقيقتها، بل وجدناها باطلا وخاليا من الحق والواقع.

وقد نصحه الشيخ عبد العزيز بن باز، فقال:"نوصيك بتقوى الله، والحرص التام على التقيد بمذهب السلف الصالح في جميع مؤلفاتك، ونوصيك أيضاً بالإكثار من تدبر القرآن الكريم، والسنَّة المطهرة، وكلام سلف الأمَّة، والاستفادة مما كتبه الإمام العلاَّمة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلاَّمة ابن القيم، ونوصيك بمطالعة رسالتيْ " التدمرية " و "الحموية" لشيخ الإسلام، و "الصواعق" و"اجتماع الجيوش الإسلاميَّة" لابن القيم، وغيرها من كتب السلف"[٢٨]. كأنه حاسد يحسد رجلا لفعله الخير، وكأنه غاضب يغضب على رجل يساعد الناس في فهم القرآن سهلا، وكأنه مبغض على عمل غيره، فدعاه إلى قراءة رسالة نفسه، وإلى قراءة الكتب للكُتاب من فيئته. يريد بها أن يثبت نفسه متكبرا ومتفاخرا.

ومنها ما أورده الشيخ صالح الفوزان من الانتقادات الشنيعة ضد الصابوني وكتابه صفوة التفاسير، فاتهمه بأنه "اعتمد على مصادر غير مرغوب فيها، ووصفه لها بأنها أوثق كتب التفسير، مثل: "تلخيص البيان" للرضي الشيعي الرافضي المعتزلي، و"تفسير الزمخشري" المعتزلي، وعلى تفاسير الأشاعرة كالرازي وأبي السعود والصاوي والبيضاوي، وبعض التفاسير

العصرية مثل تفسير سيد قطب والقاسمي، ويقول حول هذه الكتب: ولا يخفى ما في هذا من التغرير بالقراء الذين لا يعرفون حقيقة هذه الكتب؛ واتهمه أيضا بأنه أثبت المجاز والاستعارات في القرآن الكريم مما لا يتناسب مع مكانته الجليلة، وكلام الله يجب حمله على الحقيقة لا على المجاز؛ ثم أضاف مع هذا بأنه ملأ الكتاب بما لا يفهمه كثير من القراء من اصطلاحات البلاغيين، مثل: الطباق، والجناس، والاشتقاق، والإطناب، والحذف، ويذكر هذه الأشياء بمجرد أسمائها من غير إيضاح لها. والظاهر ان قصده من ذلك المباهاة والتقعر، وقد يكون هو لا يفهمها؛ وأضاف مع ذلك في بهتانه بأنه أورد في الكتاب كثيرا من الأحاديث في أسباب النزول، ولا يبين درجتها من الصحة وعدمها؛ ثم اتهمه بأنه نقل من كتب المعتزلة والأشاعرة من غير تعليق على ما تشتمل عليه عباراتهم من أغلاط في العقيدة، وهذا فيه تمرير لعقائدهم الباطلة وتغرير بالقارئ المبتدئ"[٢٩]. هذه التهمة والبهتان صادرة من المعاندين. لكن شيخنا الصابوني لقد ردها بالقوة والطاقة والحجج القاطعة. فردّ رحمه الله تعالى على انتقادات الفوزان وتطاوله، وعلى تهمة جميل زينو، وأقواله. كما في الذيل،

**الرد والإجابة من قِبل الصابوني عن انتقادات الفوزان وتطاوله:**

يقول الصابوني في الإجابة عن انتقادات الفوزان وتطاوله، "انني أخذت منهما (الرضي والزمخشري) النواحي البلاغية لا الآراء الاعتزالية، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها، وقد خدم الزمخشري كتاب الله من الناحية البلاغية خدمة جليلة أظهر في كتابه معجزة القرآن البيانية ... فما المانع من الاستفادة من كتب المعتزلة في النواحي البلاغية؟ أما آراؤه الاعتزالية فلم أحشرها في كتابي ... "[٣٠]. أما التهمة على الصابوني بأنه أخذ من التفاسير الأشعرية، فأجاب عنها، بأن الشيخ الصابوني أشعري في الاعتقاد، فلا بأس ولا حرج في أخذه من التفاسير الأشعرية، لأنهم جمهور علماء أمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم أئمة كل علم وسادة كل فن، لهم كتب التفاسير العظيمة. فإن جُرد فن التفسير وعلمه من التفاسير الأشعرية يكاد يتجرد هذا المجال ويكاد يُسلب هذا الفن الجليل.

ثم رد الصابوني عن التهمة عليه – بأنه ملأ الكتاب بما لا يفهمه كثير من القراء من اصطلاحات البلاغيين – بقوله،"إن إنكار الاستعارة والكناية والمجاز في القرآن معناه تعرية القرآن عن أخص خصائصه البلاغية والبيانية وجعله وكأنه نزل بغير اللغة العربية، وعليه يجب إلغاء جميع كتب التفسير بما فيها تفسير الطبري، لأنه بين هذه الوجوه البيانية واستشهد بأشعار أهل الجاهلية على التفسير ...". وقال بعد ذلك وشاور للناقد بقوله: "وإذا لم يقبل بشواهده وكلامه وترجيحاته وبيانه فليقترح على وزارة المعارف وعلى الكليات والجامعات إلغاء مادة البلاغة التي يدرسها الطلاب في شتى المراحل، لأنها كلها تتحدث عن الاستعارة والمجاز والتشبيه والتمثيل والكناية والطباق والجناس...الخ، فقد طفح ذكرها في القرآن والسنة... فكلها في نظره بدع وضلالات، ينبغي أن ينزه عنها القرآن العظيم محافظة على قدسيته"[٣١]. ثم سأل الصابوني زينو والفوزان، بقوله:"فهل يريد زينو والفوزان أن نلغي الاستعارة والمجاز من القرآن وأن نحمل الألفاظ على حقيقتها؟ فنفهم – مثلا – من قوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن): هن سراويل لكم وقمصان؟ وإذا ترجمت الآية الى اللغة الفرنسية كان المعنى: هن بنطلونات لكم وأنتم بنطلونات لهن؟؟"[٣٢]. لكن هذا المعنى الحقيقي لتلك الآية لباطل وفاشل وخيالي وبعيد عن الواقع.

وفي الإجابة عن التهمة عليه "بأن قصده من ذلك المباهاةُ والتقعرُ، وقد يكون هو لا يفهمها ..." يقول المصنف رحمه الله: شكرا على حسن الظن بأخيك المسلم. وأحب أن أسأل: من أين عرفت أن قصدي المباهاة؟ هل شققت عن قلوب العباد أم تُوحى من الإلهام؟ ثم أجاب عن قول المعاندين "بأنه لا يفهم فن التفسير وأسلوبه ومنهجه"، بقوله: وإذا كنت لا أفهمها فكيف أكتبها وأطبقها وأذكر الأمثلة عليها من القرآن؟ ...[٣٣]. هكذا استمر الصابوني في إجاباته الرادة لأقوال القائلين المعاندين المتطاولين بذكر الحجج والبراهين عقلا ونقلا،

وأخيرا يقول مع التأسف الشديد، وصرح فيها حقيقة المعاندين:"إنني آسف لهذا الافتراء والبهتان عليّ بدون حق إلا لمجرد طلب الشهرة بالتشويش على كتابي "صفوة التفاسير" الذي قدّمته لإخواني المسلمين بعد جهد

خمس سنوات، كنت أواصل فيه الليل بالنهار، وما كنت أكتب شيئا حتى أقرأ ما يزيد على خمسة عشر تفسيرا لأنتقي أصح الأقوال وأرجحها، وأصيغه بأسلوب سهل ميسر، لينتفع به المسلمون طلبا للأجر عند الله، فكان جزائي هذه الحملة المغرضة بالطعن والتجريح بدون تثبت ولا تحقق وبغير علم ولا فهم، وما أكثرهم الذين يتقنون الهدم ولا يعرفون البناء! ولكن كما قال الشاعر:"وداء الجهل ليس له دواء". فلا حول ولا قوة إلا بالله، هذا – والله– عصر الجهل الذي تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم، إذ قال:إن بين يدي الساعة أياما يكثر فيها الجهل ويقل العلم، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين"[٣٤]. فما أجمل القول قاله الصابوني، بأن أكثرهم يتقنون الهدم ولا يعرفون البناء! وأن داء الجهل ليس له دواء!

**التقييم لأقوال القائلين المتطاولين على الصابوني**

رأينا فيما قبل، كيف هجم الطاعنون واتهموا على الصابوني وتطاولوا عليه، كأنهم حملوا أوزار المفسرين المتقدمين وحملاتهم على عنق الصابوني، وكيف يمكن لهم ذلك – والصابوني ما أحدث شيئا في تلك الكتب ولا في تصنيفه صفوة التفاسير، بل أنه لخص واختصر أرائهم وأقوالهم؟ فالحق، أنهم تنازعوا معه نزاعا فارغا، واتصفوا الصابوني بأوصاف شنيعة، فتسودا صفحات عديدة بكلمات جائرة وبجمل فاحشة. عجبتُ بأنه كيف يصوغ للفوزان عقلُه أن يتنازع بقوله:"أنا ليس اسمي الفوزان، إنما اسمي صالح بن فوزان، فلماذا لا تسميني باسمي الذي سميتُ به، أو إنك لا تتقيد بالأسماء وإنما تستعمل المجاز"[٣٥]. وذلك لأن الصابوني استعمل لفظ **الفوزان** فقط، مكان اسمه **صالح بن الفوزان**. فكأنه تنازعه واضعا رجله على رجله. هكذا ثبتت أن الأكثر من أقوال المعاندين باطل وفاشل.

وأخيرا أقول: إن حاسدي الصابوني لقد وجدوا جائزة تهماتهم اتهموا بها الصابوني، لما سمعوا – وهم ينظرون – أن اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم اختارت الشيخ محمد علي الصابوني **شخصية العام الإسلامية،** لجهوده الكبيرة والخدمة المتواصلة في العلوم الشريعية الإسلامية، من خلال عدد كبير من الكتب والبحوث الغزيرة في المؤلفات الإسلامية، وخاصة في تفسير القرآن الكريم، وعلوم التفسير وفنونه.

ومن المعلوم، أن اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم قد أعلنت هذه الجائزة خلال أحد عشر عاما، وكرمت في كل عام شخصا من علماء الإسلام البارزين، ومن هؤلاء العلماء الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي وغيره من العلماء الفاخرة من أنحاء العالم. فالسؤال الأخير إلى معانديه: هل غير الصابوني في كتاب الله شيئا، أم سعى أن يفسر القرآن بما وفقه الله تعالى، وسهله لفهم الطلاب والباحثين؟

## الخاتمة

ففي الختام نقول، أنه قد سدت عملية الصابوني في مجال التفسير حاجات العصر الراهن. ومن المحقق، أنه تكون خلف كل عمل صالح إشارة من الله، فإني أعتقد بأن الله قد أنفذ هذا الكتاب صفوة التفاسير بيد الصابوني، وفيه حكمة الله البالغة، والله أعلم وهو المستعان والمعين.

## المراجع والمصادر

[١]- القرآن الكريم، سورة الكهف: ١٠٩؛

[٢]- د. نصرالدين إدريس جوهر، *طرق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها* (إندونيسيا: جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية)، صـ ٢

[٣]- *ambridge International Dictionary of English* (London: Cambridge University Press, 2002), P. 891

[٤]- القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ٨٨

[٥]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء الثالث، صـ ٥٢٨؛

[٦]- المصدر السابق، صـ ٥٢٨؛

[٧]- المصدر السابق، صـ ٥٢٨؛

[٨]- المصدر السابق، صـ ٥٢٩؛

[٩]- القرآن الكريم، سورة الانفطار، الآية: ١٠؛

[١٠]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء الثالث، صـ ٥٢٩؛

[١١]- القرآن الكريم، سورة البقرة: ٢٦٤؛

[١٢]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الجزء الأول، صـ ١٦٦؛

[١٣]- المصدر السابق، الجزء الثالث، صـ ٥٦٠؛

[١٤]- المصدر السابق، الجزء الثالث، صـ ٥٦٩؛

[١٥]- الزركشي، كتاب البرهان، صـ ١٣؛

[١٦]- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، صـ ٩٠؛
[١٧]- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية: ٣٨؛
[١٨]- من كلمة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، رئيس ندوة العلماء بلكنو، الهند، ألقاها في إصدار الكتاب صفوة التفاسير؛
[١٩]- المصدر السابق؛
[٢٠]- المصدر السابق؛
[٢١]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المقدمة للطبعة العاشرة، صـ ٢٢؛
[٢٢]- من كلمة فضيلة الشيخ عبد الله خياط، خطيب المسجد الحرام، ألقاها في إصدار الكتاب صفوة التفاسير؛
[٢٣]- من كلمة محمد الغزالي، رئيس قسم الدعوة وأصول الدين، بكلية الشريعة بمكة المكرمة، كلمة ألقاها في إصدار الكتاب صفوة التفاسير؛
[٢٤]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المقدمة للطبعة العاشرة، صـ ٢٢؛
[٢٥]- المقالة : الصابوني وكتابه صفوة التفاسير؛
[٢٦]- الشيخ بكر أبو زيد، التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير؛
[٢٧]- الشيخ بكر أبو زيد، الردود، صـ ٣١٣ ، ٣١٤؛
[٢٨]- المصدر السابق، صـ ٣٧٥ ؛
[٢٩]- الشيخ صالح الفوزان، البيان لأخطاء بعض الكتاب؛
[٣٠]- محمد علي الصابوني، من كتيب له سمّاه، كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير، دار الجيل، ط ٢٠٠١م؛
[٣١]- المصدر السابق،
[٣٢]- المصدر السابق،
[٣٣]- المصدر السابق،
[٣٤]- المصدر السابق،
[٣٥]- الشيخ صالح الفوزان، الملاحظات عامة على كتاب صفوة التفاسير.